واشتعل المبيض في مسودة ... مثل اشتعال النار في جزل الغضا ولكنه خليق بأن يكون مضرب قولهم في المثل : ماء ولا كصدي .

والشيب : بياض الشعر . ويعرض للشعر البياض بسبب نقصان المادة التي تعطي اللون الأصلي للشعر ونقصانها بسبب كبر السن غالبا فلذلك كان الشيب علامة على الكبر وقد يبيض الشعر من مرض .

وجملة (ولم أكن بدعائك رب شقيا) معترضة بين الجمل التمهيدية . والباء في قوله (بدعائك) للمصاحبة .

والشقي A E السعي وضلال المأمول من الحرمان هي أي السعادة ضد وهي الشقوة أصابته الذي : . وأطلق نفي الشقاوة والمراد حصول ضدها وهو السعادة على طريق الكناية إذ لا واسطة بينهما عرفا .

ومثل هذا التركيب جرى في كلامهم مجري المثل في حصول السعادة من شيء . ونظيره قوله تعالى في هذه السورة في قصة إبراهيم (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) أي عسى أن أكون سعيدا أي مستجاب الدعوة . وفي حديث أبي هريرة عن النبي A فيما يرويه عن ربه في شأن الذين يذكون ا ومن جالسهم " هم الجلساء لا يشقي بهم جليسهم " أي يسعد معهم . وقال بعض الشعراء لم نعرف اسمه وهو إسلامي : .

جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس أي يسعد به جليسه .

والمعنى : لم أكن فيما دعوتك من قبل مردود منك أي أنه قد عهد من ا الاستجابة كلما دعاه .

وهذا تمهيد للإجابة من طريق غير طريق التمهيد الذي في الجمل المصاحبة له بل طريق الحث على استمرار جميل صنع ا معه وتوسل إليه بما سلف له معه من الاستجابة .

روي أن محتاجا سأل حاتما الطائي أو معن بن زائدة قائلا : " أنا الذي أحسنت إلي يوم كذا " فقال : " مرحبا بمن توسل بنا إلينا " .

وجملة (وإني خفت الموالي من ورائي) عطف على جملة (واشتعل الرأس شيبا) أي قاربت الوفاة وخفت الموالي من بعدي .

وما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي صالح عن النبي A مرسلا أنه قال : " يرحم ا زكريا ما كان عليه من وراثة ماله " فلعله خشي سوء معرفتهم بما يخلفه من الآثار الدينية والعلمية . وتلك أعلاق يعز على المؤمن تلاشيها ولذلك قال (يرثني ويرث من آل يعقوب) فإن

نفوس الأنبياء لا تطمح إلا لمعالي الأمور ومصالح الدين وما سوى ذلك فهو تبع .

فقوله (يرثني) يعني به وراثة ماله . ويؤيده ما أخرجه عبد الرزاق عن قتادة عن الحسن أن النبي A قال : يرحم ا زكريا ما كان عليه من وراثة ماله " .

والظواهر تؤذ ن بأن الأنبياء كانوا يورثون قال تعالى (وورث سليمان داود) . وأما قول النبي A : " نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة " فإنما يريد به رسول ا نفسه كما حمله عليه عمر في حديثه مع العباس وعلي في صحيح البخاري إذ قال عمر : " يريد رسول ا بذلك نفسه " . فيكون ذلك من خصوصيات محمد A فإن كان ذلك حكما سابقا كان مراد زكريا إرث آثار النبوة خاصة من الكتب المقدسة وتقاييده عليها .

والموالي : العصبة وأقرب القرابة جمع مولي بمعنى الولي .

ومعنى (من ورائي) من بعدي فإن الوراء يطلق ويراد به ما بعد الشيء . كما قال النابغة : .

" وليس وراء اله للمرء مطلب أي بعد ا . فمعنى (من ورائي) من بعد حياتي .

و (من ورائي) في موضع الصفة ل (الموالي) أو الحال .

وامرأة زكريا اسمها أليصابات من نسل هارون أخي موسى فهي من سبط لاوي .

والعاقر : الأنثى التي لا تلد فهو وصف خاص بالمرأة .

ولذلك جرد من علامة التأنيث إذ لا لبس . ومصدره : العقر بفتح العين وضمها مع سكون القاف . وأتى بفعل (كان) للدلالة على أن العقر متمكن منها وثابت لها فلذلك حرم من الولد منها .

ومعنى (من لدنك) أنه من عند ا عندية خاصة لأن المتكلم يعلم أن كل شيء من عند ا بتقديره وخلقه الأسباب ومسبباتها تبعا لخلقها فلما قال " من عندك " دل على أنه سأل وليا غير جار أمره على المعتاد من إيجاد الأولاد لانعدام الأسباب المعتادة فتكون هبته كرامة له .

ويتعلق (لي) و (من لدنك) بفعل (هب) . وإنما قدم (لي) على (من لدنك) لأنه الأهم من غرض الداعي وهو غرض خاص يقدم على الغرض العام .

و (يرثني) قرأه الجمهور بالرفع على الصفة ل (وليا)